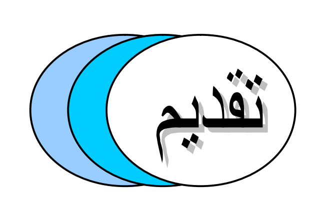


بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسقفية الشباب

الصوم الكبير...

عودة إلى الله

نيافة الأنبا رافائيل
تقديم نيافة الأنبا موسي



والقراءات التى اختارتها الكنيسة من الكتاب المقدس، فى هذه الفترة الروحية المشبعة تدور حول محاور هامة مثل:

١- **التوبة:** حيث نتوب مع **الابن الضال**: مهما كانت بشاعة خطايانا، و**مع السامرية**: مهما كان تكرار خطايانا، و**مع المفلوج**: مهما كانت مدة استمرارنا فى الخطية، و**مع المولود أعمى**: مهما كانت الخطية الجدية التى ورثناها، والظلمة الروحية التى أصابتنا، فالمعمودية جاهزة لتجديدنا بالروح القدس، والتوبة تعيدنا ثانية إلى بركات جرن المعمودية.

٢- **الشبع الكتابى:** حيث نقرأ فى الصوم الكبير كمية هائلة من إصحاحات العهدين: القديم والجديد.

٣- **مرافقة الرب يسوع:** حيث نسير معه فى تجربته على الجبل، وفى كرازته لليهود، وفى محبته للأمم، وفى صلبه وفدائه، وموته وقيامته.

٤- **الخدمة:** حينما نلتقى بالرب بعد قيامته المجيدة، فنسمعه يقول لنا - مع الآباء الرسل الأطهار - "كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا"... فنخرج بعد كل قداس قائلين: "آمين آمين آمين بموتك يارب نبشر، وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف"...

مباركة هى صفحات هذا الكتاب، التى فيها يرافقنا نيافة الأنبا رافائيل فى رحلة الصوم الكبير، حيث نلتقى ببركات الصوم والاعتكاف، ونجدد عهد المعمودية والتوبة، ونعود إلى الله بكل قلوبنا، فننتصر على كل تجارب إبليس.

الرب يبارك هذه الصفحات لقارئها بصلوات راعينا الحبيب **قداسة البابا شنوده الثالث**، ونعمة الرب تشملنا جميعاً،

الأنبا موسى
الأسقف العام

ما أجمل أيام الصوم المقدس... تشتاق النفوس الروحانية لهذه الأيام المقدسة... فلها رائحة خاصة، ومذاقه مميزة.

فيها يحلو للنفس أن تتوب فى هدوء وسكون.

كان الصوم الكبير دائماً موسم إعداد الموعوظين للمعمودية.

وفى نفس الوقت موسم تنبيه ذهن المؤمنين المعمّدين إلى ضرورة تجديد زيت المعمودية فيهم بالتوبة والنقاوة.

دعنا نرحل معاً هذه الرحلة القدسية.

لنرى المعمودية وصنوها التوبة فى كل إنجيل من أناجيل آحاد الصوم، فهناك معمودية وتوبة فى إنجيل الرفاع وفى إنجيل الكنوز وفى أحد التجربة ومع الابن الشاطر وعند بئر السامرية ومريض بركة بيت حسدا ومع المولود أعمى...

ثم أخيراً ندخل إلى موكب المسيح الملك.. سائرين وراءه نصرخ مع أطفال العبرانيين خلصنا يا ابن داود.

فيخلصنا بآلامه المحيية وقيامته المقدسة.

كل عام وكل الكنيسة فى ملء بركة المسيح بالتوبة والصلاة والصوم الصادقين.

ببركة صلوات أبينا الطوباوى المكرم البابا شنوده الثالث

الأنبا رافائيل
الأسقف العام

المحتويات



هلموا معى يا أصدقائى وأخوتى الأحباء لنبحر معاً عبر هذا النهر العظيم (الصوم الكبير) حاملين معنا زاداً يكفى رحلتنا التى - بلا شك - سنتزود فيها بزاد آخر يكفى لرحلة العمر إلى السماء.

دعنا الآن نرى ما هو الزاد اللازم لرحلة الصوم.

الصوم يحتاج

أ- التوبة القلبية :

"ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم. وارجعوا إلى الرب إلهكم؛ لأنه رؤوف رحيم بطئ الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر" (يؤ ١٣،٢:١٢). إن الصوم الكبير هو موسم التوبة وتجديد العهود... موسم العودة إلى أحضان

المسيح نرتمى فيه ونبكى... نبكى على الزمان الردئ الــذى مــضى "لأن زمان الحياة الذى مضى، يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر، والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة" (١بط ٤:٣).

"أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار؛ فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور، لنسلك بلياقة كما فى النهار" (رو ١٣:١١-١٣).

آه... لو تحرك قلب الكنيسة نحو التوبة بحس واحد... آه لو تحرك قلبــي وسط الجماعة المقدسة للعودة إلى المسيح... إن الكنيسة سبقت وأبرزت لنا نموذج توبة أهل نينوى، لنرى ونعجب كيف وماذا تفعل التوبة الجماعية... وتظل الكنيسة طوال الصوم تبرز لنا نماذج رائعة للتوبة: الابــن الــضال، السامرية، المخلع، المولود أعمى... وكيف أن لمسة الرب يسوع المــسيح شافية للنفس والجسد والروح ومجددة للحواس وباعثة للحياة.

ربى يسوع.. سامحنى وأعف عنى وأسندنى لكى لا أخطئ إليك ثانيــة... دعنى أقبل قدميك وأبلهما بدموعى وحبى... دعنى أرتمــى فــى حــضنك الإلهى كطفل فى حجر أمه... أبكى بفرح العودة... أبكى برجاء النــصرة.. أبكى بروح القيامة من سقطاتى الرديئة... ســأكون لــك بنعمتــك... لــن يستعبدنى العالم ثانية... لن يسبينى الشيطان مرة أخرى... لــن يخــدعنى الجسد بأوهامه... لقد ذقت مرارة الخطية واكتشفت وهمها الردئ... كنــت أظنها حرية مفرحة وجدتها عبودية قاسية... الآن أدرك بنعمتك أنك وحدك فيك الحرية والفرح والسعادة... وبدونك حياتى مرة وكئيبــة... الآن أدرك لماذا يفرح الصائم "متى صمتم فلا تكونوا عابسين" (مت ٦:١٦)... أننى أفرح الآن بعودتى إليك بعد التوهان... الآن أستقر فى حــضنك بعــد الضياع... الآن نفسى تتوق إلى القداسة بعد أن دنــست نفــسى وجــسدى بأفعالى الذميمة.. الآن يتغير اتجاه حياتى ليكون المــسيح هــدفى ومحــور اهتمامى بل و"لى الحياة هى المسيح" (فى ١:٢١) بعد أن كــان العــالم ولقمة العيش، والجسد، والزلات قد استولوا على اغتصاباً؛ فأفقدونى هويتى ومعنى وجودى وسلبوا منى فرحتى، وتركونى ملقى بين حى وميت أنتظر سامرياً صالحاً يضمد جراحاتى.

ب- الهدوء والصمت :

"لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس إسرائيل بالرجوع والسكون تخلصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم" (أش ٣٠:١٥).

إن إيقاع الحياة الصاخب، وعنف متطلبات المعيــشة، وكثــرة الحركــة والانشغال والهموم، افقدوا الإنسان معناه وإنسانيته وحولوه إلى مجرد ترس فى ماكينة ضخمة يتحرك بتحركها، ويقف بوقوفها إن وقفــت... الإنــسان اليوم يعيش فى تشتت مرعب يبدد قوى الجسم والنفس والعقل فكم بــالحرى قوى الروح... إننا أحوج ما نكون إلى فترات هدوء واعتكاف نعود فيها إلى أنفسنا ونغوص فى أعماقنا بدون تأثير المشتتات الخارجية... إنها رحلة إلى أعماق الإنسان لاكتشاف الهوية وضبط الاتجاهات... دعنــا نختــزل مــن

برنامجنا اليومى كل ما هو غير ضرورى: الثرثرة والأحاديث الباطلة، والتليفزيون، والمكالمات التليفونية الطويلة دون داع، والزيارات غير الضرورية، والملاهى والمآدب... ألا ترى أنه سيتجمع لدينا وقت كاف للتمتع بالهدوء والاعتكاف فى جلال الصمت وخشوع العبادة... والتأمل والتعمق واكتشاف سطحيتنا وزيف علاقاتنا مع الآخرين... إن كلامنا الثرثار فى طوفان الأحاديث الباطلة قد فقد قوته ومعناه... الصوم بجلاله يعيد إلى الكلمة قدسيتها ووقارها وسلطانها... "إن كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً" (يع ٣:٢)، آه لو نستطيع أن نقتطع من برنامجنا اليومى الصاخب لحظات للهدوء والاعتكاف والتزام الصمت. اسمع الصوت الذى كلم ارسانيوس قديماً: "يا ارسانيوس الزم الهدوء والبعد عن الناس، وأصمت، وأنت تخلص لأن هذه هى عروق عدم الخطية". فإن كان ارسانيوس قد لزم الصمت والبعد عن الناس طول العمر فليس بكثير علينا أن نلزمها لحظات يومياً خاصة فى الصوم.

العالم اليوم يحتاج إلى شهادة حية، لا بالوعظ والكلام، بل بقديسين يحملون نوراً وفرحاً وعمقاً، ورزانة ووقاراً، ولهم سر الصمت وقوة الهدوء، كعلامة وبرهان على حضور الله فيهم.

ج- العطاء :

"طوبى للرحماء على المساكين، فإن الرحمة تحل عليهم، والمسيح يرحمهم فى يوم الدين ويحل بروح قدسه فيهم".

"يقولون لماذا صمنا ولم تنظر؟ ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ؟".. "أمثل هذا يكون صوم أختاره؟... هل تسمى هذا صوماً ويوماً مقبولاً للرب؟ أليس هذا صوماً أختاره: حل قيود الشر. فك عقد النير، وإطلاق المسحوقين أحراراً، وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عرياناً أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحمك" (أش ٥٨:٣-٧).

"لا تنسوا فعل الخير والتوزيع (على الفقراء) لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله" (عب ١٣:١٦) لأن "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه، إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع ١:٢٧).

والقديس اشعياء سجل لنا ما قاله أبو مقار لرهبان من الإسكندرية "إن من لم يشأ أن يصنع رحمة من فلس واحد فلن يعمل رحمة من ألف دينار".

وقال القديس الأنبا موسى القوى "الصدقة بمعرفة تولد التأمل فيما سيكون وترشد إلى المجد ،أما الإنسان القاسى القلب فإنه يدل على انعدامه من أى فضيلة".

"أعط المحتاجين بسرور ورضى لئلا تخجل بين القديسين وتحرم من أمجادهم".

"اجذب المساكين لتخلص بسببهم فى أوان الشدة".

إن الرحمة وروح العطاء إنما هما دليل على القلب الزاهد المحب لله... أنه القلب الذى يسعد بالعطاء ويفرح لفرح الآخرين.

والصوم المقدس فرصة رائعة لتدريب النفس على الزهد في حطام الدنيا.. والعودة إلى الفلسفة الحقيقية التى بها نكتشف أن مكاسب العالم هى نفاية، وأن الممتلكات هى معوقات وثقل كان من الأجدر بنا أن نستثمرها فى كسب أصدقاء يقبلوننا فى المظال الأبدية (راجع لو١٦:٩).

بل والأكثر من هذا سيكون العطاء وسيلة لتقديسنا "بل أعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شئ يكون نقياً لكم" (لو ١١:٤١)... وكذلك الصدقة هى طريق للكمال: "إن أردت أن تكون كاملاً؛ فأذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء؛ فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى" (مت ١٩:٢١)، إذن فالصوم المقدس فرصة للتعبير العملى عن إيماننا بأنه "ليس بالخبز وحده (ولا بأى ممتلكات للدنيا) يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت ٤:٤)، "فإنه متى كان لأحد كثير، فليست حياته من أمواله" (لو١٢:١٥).

خطورة الإفطار

المسيحى الحقيقى هو عضو فى جسد المسيح الذى هو الكنيسة... وبرهان عضويته أنه مشارك للكنيسة فى كل ممارساتها... فنحن نصوم - ببساطة - لأن الكنيسة تصوم... لأننا منها ومعها وفيها... والروحانية الأرثوذكسية هى روحانية شركة.. كما كانت الكنيسة فى عصر الرسل تحيا حياة الشركة الكاملة، إذ كان المؤمنون يواظبون معاً على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات... فالذى يحرم نفسه من نعمة شركة الكنيسة يخطئ إلى نفسه ويسئ إلى الكنيسة.. وكأنه باع انتماءه للجسد المقدس (بأكلة عدس).. لذلك تحذر الكنيسة أولادها من كسر الصوم، لئلا يخسروا الكثير.

والعجيب أن نفس القانون الذى يمنع الفطر فى الصوم، يمنع أيضاً الصوم فى الفطر (الخماسين والآحاد والأعياد)، ليبرهن أننا لا نقصد الأكل أو عدمه، لكننا نقصد الشركة والحب والعمل المشترك، يجب أن (نكون معاً)، "مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل" (فى ١:٢٧).



١- المعمودية والصليب والقيامة

أن المعمودية المسيحية هى موت ودفن وقيامة مع المسيح؛ فيقول معلمنا بولس الرسول: "نحن الذين متنا عن الخطية. كيف نعيش بعد فيها؟.

أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة؛ لأنه أن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته" (رو ٦: ٣-٥).

لذلك فقد كانت أنسب فرصة لمعمودية الموعوظين فى العصور الأولى، هى ليلة عيد القيامة، حيث الموت والقيامة فعلاً مع المسيح.

يقول فى ذلك العلامة ترتليانوس: "**الفصح هو أكثر الأيام ملاءمة لإقامة المعمودية، ففيه تمت آلام الرب وإليها نعتمد...**" (**فى المعمودية ١٩**).

وما زالت "الزفة" التى نعملها للمعمدين فى الكنيسة، هى نفسها دورة القيامة التى كانوا يشتركون فيها عقب معموديتهم ليلة العيد.

والكنيسة فى اختيارها لقراءات عيد القيامة فى القطمارس، لم تغفل ارتباط القيامة بالمعمودية؛ ففى فصل الكاثوليكون يورد معلمنا بطرس الرسول مقارنته الشهيرة بين الطوفان والمعمودية: "إذ كان الفلك يبنى، الذى فيه خلص قليلون، أى ثمانى أنفس بالماء، الذى مثاله يخلصنا نحن الآن، أى المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح" (١بط ٣: ٢٠-٢١).

وفى فصل البولس يورد معلمنا بولس مقارنة بين بنى القيامة (المعمدين) وبنى الموت "ليس الروحانى أولاً (المولود من الروح بالمعمودية) بل الحيوانى (المولود بالجسد من أبويه)، وبعد ذلك الروحانى... وكما لبسنا صورة الترابى (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوى (المسيح ... فى المعمودية بالعربون، وفى الأبدية بالحقيقة)، فأقول هذا أيها الأخوة: أن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله (المولود حسب الجسد) ولا يرث الفاسد (بدون المعمودية) عدم الفساد (الأبدية)" (١كو ١٥: ٤٦-٥٠)، لاحظ أن نفس التعبير استخدمه الرب يسوع فى حواره مع نيقوديموس: "الحق الحق أقول لك إن كان أحد، لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله... المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يو ٣: ٣-٦).

وحقيقة الأمر أن الكنيسة كانت تبذل جهداً كبيراً فى إعداد الموعوظين للمعمودية، ثم تقدمهم للأب الأسقف ليختبر جدية نواياهم، وصدق إيمانهم.. ثم يسجل أسماءهم فى سجل الموعوظين، الذى يسميه القديس يوحنا ذهبى الفم "السفر السماوى" أو "سفر الحياة" ، ثم يرسم الأب الأسقف على جبهة الموعوظ إشارة الصليب، ويباركه... وكان هذا التسجيل يتم - أيام القديس يوحنا ذهبى الفم - فى بداية الصوم الكبير... ويستمر الموعوظون طيلة الصوم الكبير يتلقون تعاليم الكنيسة، خاصة ما يختص بسر المعمودية، وفعلها فى حياتهم، حتى ينتهى الصوم المقدس بالبصخة فالقيامة، فيتم تعميدهم ليكونوا بالحقيقة قد ماتوا وقاموا مع الرب يسوع المسيح له المجد.

والملاحظ أن ترتيب قراءات آحاد الصوم الكبير المقدس قد جاءت بإلهام إلهى تشرح طقس المعمودية، وفعلها فى تغيير وتجديد طبيعة الإنسان وفى تبنيه لله الأب وفى استنارته وفى منحه الحياة الأبدية.

٢- ارتباط قراءات آحاد الصوم
الكبير بشرح فعل المعمودية

أ- أحد الرفاع (مت ٦: ١-١٨) :

تعلمنا الكنيسة المقدسة فى أحد الرفاع المنهج المسيحى فى الحياة، ويقوم على (الصدقة - والصلاة - والصوم) وكأنها تهمس فى أذن الموعوظ.. "**صديقى.. ستكون معنا - بالمعمودية - وستسلك كما يليق بهذه المعمودية: الصدقة هى الزهد فى المال والقنية.. والصلاة هى جحد الذات وكسر المشيئة... والصوم هو ضبط الجسد**"... الكنيسة تضع أمام الموعوظ علامات الطريق، وسر النصرة.. وتميز له ما بين ممارسة المسيحية، والممارسة التى كان يعيش فيها قبل المعمودية سواء كان وثنياً أم يهودياً... فالمسيحية تعرف الخفاء فى الممارسة.. والعلاقة الباطنية بين الابن (بالمعمودية) والآب السماوى الذى يرى فى الخفاء...

ب- الأحد الأول (مت ٦:١٩-٣٤) (أحد الكنوز):

فى بداية الطريق... تضع الكنيسة الحافز المناسب أمام الموعوظ لئلا يخور ويتراجع... إن كنا قد علمناه فى أحد الرفاع أن يتخلى عن (**المال - الذات - الجسد**).

فلنضع أمامه الآن المكافأة: أنها الكنز السماوى الذى لا يفسد ولا يسرق...

ثم تشرح الكنيسة للموعوظ قيمة التمسك بهذا الكنز السماوى...

- العين تكون مستنيرة بالبساطة (المعمودية هى سر الاستنارة).
- الله سيهتم باحتياجاتى (أبوكم السماوى يقوتها).
- نفوز بملكوت السموات (اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره... وهذه كلها تزاد لكم).

فالمعمودية تنقل الإنسان من سيرة علمانية إلى سيرة سمائية روحانية... السيرة العلمانية تقوم على كنوز الأرض وعبودية المال، والعين الشريرة والاهتمامات المفسدة الرديئة...

فلا نكون مثلهم بل لنا الكنز السماوى، وخدمة المسيح، والعين البسيطة والاهتمامات الأخروية لأننا صرنا أبناء الملكوت، وأبناء النور بالمعمودية.

ج- الأحد الثانى (مت ٤: ١-١١) (أحد التجربة) :

بعد إعداد الموعوظين بوعظهم، والصلاة عليهم (كما بطقس المعمودية)، تتمم الكنيسة لهم طقس جحد الشيطان، وكما انتصر السيد المسيح على الشيطان فى ثلاثة تجارب، كذلك يصرخ الموعوظ فى وجه الشيطان (نحو الغرب) قائلاً "أجحدك.. أجحدك.. أجحدك". أنها نفس النصرة التى فاز بها الرب يسوع لنا على الجبل.

لقد انتصر الرب يسوع فى تجارب الجسد (الحجارة تصير خبزاً)، والمجد الباطل (اطرح نفسك إلى أسفل)، وتجربة القنية (أعطيك هذه جميعها).. وهى نفس مواطن الضعف التى يحارب بها أبليس كل أولاد الله (الجسد - الذات - القنية)؛ لذلك فسبق لنا أن نتسلح ضد هذه الهجمات

بأسلحة (الصوم - الصلاة - الصدقة).. إننا فى سر المعمودية نصرخ مع المسيح (أذهب يا شيطان). فيتركنا مهزوماً... ولكنه "إلى حين" (لو٤:١٣)، لأنه سيعاود حربنا، ولن يتركنا نهائياً إلا عندما نخلع الجسد، ونحتمى فى الفردوس بالحقيقة، حيث تنتهى الحرب ، وتعلن النصرة فى الأبدية السعيدة.

د- الأحد الثالث (لو ١٥: ١١-٣٢) (الابن الشاطر):

إن قصة الابن الضال هى شرح رائع لسر المعمودية.. فالمعمودية هى استعادة التبنى لله الآب.. لقد كان الإنسان أصلاً ابناً لله (بالتبنى)، فقد قيل عن آدم أنه "ابن الله" (لو ٣:٣٨).

ولكن أدم فقد بنوته بسبب ضلالته، وانفصاله عن الله، وعيشه بعيداً بعيش مسرف فى الخطية.. والموعوظ فى توجهه للمعمودية، كأنه يقول مع الابن الضال: "أقوم وأذهب إلى أبى" (لو ١٥:١٨).

إن الآب السماوى ما زال يحمل لنا مشاعر الأبوة ، وسوف يغدقها علينا فى المعمودية (الحلة الأولى).. فقال الأب لعبيده (الكهنة): "أخرجوا الحلة الأولى والبسوه (المعمودية هى لباس المسيح)" واجعلوا خاتماً فى يده (الميرون ختم الروح القدس)، "وحذاء فى رجليه" (الإنجيل الذى ينير الطريق ويهدى الخطوات): "حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام" (أف٦:١٥)، "وقدموا العجل المسمن، وأذبحوه" (وليمة الافخارستيا التى يشترك فيها الأبناء فقط)، "فنأكل ونفرح" (بالتسبيح الدائم والشركة المقدسة فى الكنيسة) "لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش" (المعمودية موت وقيامة) "وكان ضالاً فوجد"..

الابن الأكبر هو رمز لليهود، الذين لهم علاقة مع الله منذ زمن بعيد، والابن الأصغر هو رمز للأمم الذين جاءوا متأخرين...

الابن الأكبر كان يعيش مع والده ولكن ليس بقلبه.. لذلك لم يكن فكره ولا قلبه كأبيه نحو الأخ الأصغر،... بل تذمر كما تذمر اليهود عند قبول الأمم فى المعمودية (راجع فى ذلك قصة قبول كرنيليوس فى الإيمان والمعمودية، وكيف خاصم المسيحيون من أصل يهودى - معلمنا بطرس لأنه قبل الأمم، وكيف شرح لهم بطرس الرسول قصة إعلان الله له قبول الأمم (أع ١٠،١١).. ولكن الآب السماوى يطمئن قلوب الموعوظين (الابن الأصغر) "كان ينبغى أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً (بفساد الطبيعة) فعاش (بالمعمودية) وكان ضالاً فوجد".

هـ- الأحد الرابع (يو ٤: ١-٤٢) (السامرية):

السامرية جاءت لتشرب من ماء غير مرو، فقابلها يسوع وقال لها "لو كنت تعلمين عطية الله (المعمودية)... لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً.... كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً، ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد (لا تعاد معموديته). بل الماء الذى أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء (الروح القدس) ينبع إلى حياة أبدية".

جاءت السامرية لتشرب من بئر يعقوب وقلبها متعلق بخمسة أزواج وأخر ليس زوجاً.. فوجدت هناك بئر يسوع (المعمودية) والعريس الأوحد مخلص كل البشرية...

لقد رفع يسوع ذهنها إلى الحياة بالروح والحق، التى تليق بالمسيحيين؛ ليفطم قلبها من عبادة الحرف التى تليق باليهود والوثنيين... أن المعمودية حد فاصل...

و- الأحد الخامس (يو ٥: ١-١٨) (المخلع):

لقد كان هذا الرجل مريضا منذ زمان، رمزاً للبشرية التى تعانى من فساد الطبيعة منذ أدم.. وكان ملقى مطروحا عند البركة (رمزاً للمعمودية يتوقع تحريك الماء مع باقى البشرية المريضة - "جمهور كثير من المرضى عمي وعرج وعسم لأن ملاكاً (رمزاً للروح القدس) كان ينزل أحياناً فى البركة، ويحرك الماء.. فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء (الماء والروح)، كان يبرأ من أى مرض أعتراه (البرء من فساد الطبيعة)"..

والخمسة أروقة التى كانوا مطروحين فيها دون شفاء، لعلها تشير إلى إمكانيات العهد القديم التى كان - على غناها وغزارتها- عاجزة عن تخليص الإنسان، فأسفار موسى الخمسة، وأنواع الذبائح الخمسة لم تكن كافية لبرء الإنسان.. جاء يسوع ليخلصنا بالمعمودية، ولكنه يسأل الإنسان (أتريد أن تبرأ)؟، كما يسأل الكاهن الموعوظ (هل آمنت)؟

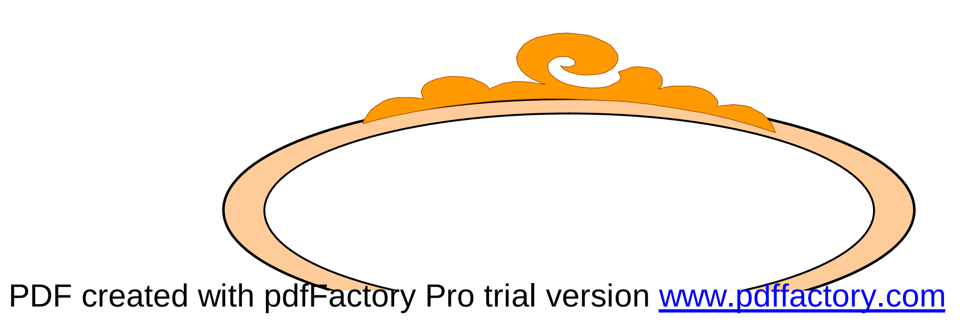
ى- فى الأحد السادس (يو ٩:١-٤١) (المولود أعمى):

ومعجزة المولود أعمى هى قصة معمودية بكل تفاصيلها.. فالرجل ولد مشوهاً رمزاً للطبيعة الفاسدة، التى نولد بها من آدم وحواء.. وجاء الرب يسوع ليعيد خلقة الإنسان، ويجددها، لذلك فقد استخدم - بصفته الخالق - عناصر خلق الإنسان الأول نفسها.. (الطين).. وقال أذهب اغتسل فى بركة سلوام (المعمودية).. فمضى واغتسل وأتى بصيراً (سر الاستنارة).. ونتيجة هذه المعمودية انفصل هذا الرجل عن مجمع اليهود وصار فى مجمع المسيح (الكنيسة).

ز- الأحد السابع الشعانين :

بعد أن شرحت الكنيسة للموعوظين فعل المعمودية فى حياتهم: التبنى (الابن الضال)، ماء الحياة (السامرية)، البرء من الطبيعة الفاسدة (المخلع)، والاستنارة (المولود أعمى).

الآن تقتادهم ليروا المجد المعد لهم فى ملكوت الآب السماوى، سندخل أورشليم فى موكب المسيح، وسنهتف منتصرين حاملين سعف النخل.. وسننتمى إلى مملكة داود الروحية الحقيقية، ولكن هناك صليب سيقابلنا، وآلام لابد أن نجتازها.. وما يشجعنا ويعزينا أن هناك قيامة بعد الصليب.. وهناك المجد بعد الهوان.. وهناك النصرة بعد الحرب.





أول وصية:

"من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها؟ لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك ١٦:٢،١٧).

أنها أول وصية بل الوصية الوحيدة فى الفردوس... أن يصوم الإنسان عن نوع معين من الطعام... ولا يتناول طعاماً إلا من يد الله.

أراد الله أن يقول لآدم: "**ليست حياتك من الطعام، بل بى. إذا أكلت بدونى فستموت**" وأراد الشيطان أن يثبت العكس لآدم: "**أن الحياة، بل والألوهة تكمنان فى الأكل فقط، حتى ولو كان مخالفاً لوصية الله الصالحة**".

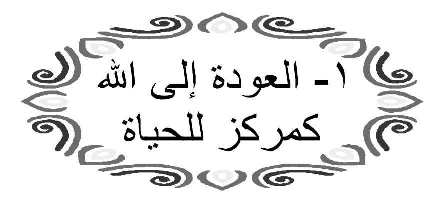
وانطلت الخدعة على آدم... فعاش ليأكل... وكرسّ الناس كل جهدهم وعمرهم من أجل **"لقمة العيش"**، وبات الناس لا يفكرون إلا فى المال والأكل والمتع الحسية... حاسبين أنها وحدها سبيل السعادة والحياة.. بمعزل عن الله...

مع أن الواقع نفسه يعلن فشل هذه الأفكار.. فليست سعادة الإنسان بالمادة بل بالله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع" (اتى ١٧:٦).

أما المادة فى حد ذاتها - وبعيداً عن الله؛ فتصير وثناً بغيضاً، وينبوع موت لكل من يتعلق بها... "لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (اتى ١٠:٦).

وتمركز الحياة - هذا - حول الطعام، تسرب دون أن ندرى حتى إلى الروحيين والمؤمنين؛ فصار الصوم فى نظرهم هو امتناع عن الأكل... أنه أيضاً تمركز سلبى.

ولكن الصوم كما تعلّم الكنيسة وتشرحه هو العودة إلى الله:



فليست الأموال بل **الصدقة**، وليست الإرادة بل **الصلاة**، وليست الأطعمة والشهوات بل **الصوم والتعفف**.

وهذا أول درس تلقنه لنا الكنيسة... (فى أحد الرفاع) قبل أن نجتاز معاً رحلة الصوم المقدسة.

أ- ففى الصدقة:

يعلن الإنسان أن ما لديه من أموال هى نعمة استأمنه الله عليها... أعطاها له كوكيل صالح ليخدم بها الآخرين بكل فرح "المعطى المسرور يحبه الرب" (٢كو ٧:٩)... وإن سعادته ليست فى تخزين الأموال بل فى إنفاقها فى الخير "مغبوط هو العطاء أكثر من الآخذ" (أع ٣٥:٢٠).

كذلك فى الصدقة يعلن الإنسان أن حياته وتأمينها فى يدى الله، وليس فى خزائن البنوك... إن القضية ليست فى كثرة المال أو قلّته، بل فى نظرة الإنسان له... ومحبته واتكاله... هل على الله (حتى ولو كان غنياً) أم على الأموال (حتى ولو كان فقيراً).

فهناك غنىّ لا يتعلق بالمال وآخر يعبده... وهناك فقير يشكر الله ويسعد وآخر ما زال يعبد المال..

ليست حياتنا من أموالنا... بل من الله الذى يعطينا.

ب- الصلاة:

هى شركة حب يسلم فيها الإنسان ذاته وإرادته وتدبير حياته لدى ذاك الذى معه أمرنا.

الصلاة هى عودة إلى الله كمركز للحياة ومحرك لها... قديماً قالوا: "الصلاة تحرك اليد التى تحرك العالم"، وربنا يسوع المسيح وعدنا أن "كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين ستنالونه" (مت ٢١:٢٢).

إن مأساة العالم اليوم أنه قد ترك الصلاة، وسعى وراء العقل والحرية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية بمعزل عن الله...

ولا يوجد من ينكر قيمة التفكير بالعقل، والمناداة بالحرية، وتحقيق حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وغيرها من مبادئ سامية رفيعة... ولكن دعنا نعترف - باتضاع - أن هذه المبادئ لم تحل مشكلة الإنسان فى كل مكان.

آه لو اقترنت هذه، بروح التقوى والصلاة... آه لو اعتنقناها فى نور الإنجيل وليس بمعزل عن الله... آه لو ارتقى الضمير وتنزه عن الأغراض... لصار العقل بالحقيقة خلاقاً للخير... وصارت الحرية سعادة بالمسيح "فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو ٨:٣٦).

وصارت حقوق الإنسان مصانة بالحب وبالنعمة وبالعلاقات السليمة بين الناس.. وليس بالتحايل على القانون.. وبالغش وبالمحاباة..

ليست الحياة بإمكانيات الناس بل الله الذى نطلبه فى الصلاة.

ج- والصوم:

الصوم عن الطعام هو إعلان عملى عن أنه "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من الله" (لو ٤:٤)... لقد كانت هذه هى الخبرة التى تعلمها بنو إسرائيل فى البرية وصاغها قائدهم العظيم موسى فى هذه العبارة بالروح القدس: "وتتذكر كل الطريق، التى فيها سار بك الرب إلهك، هذه الأربعين سنة فى القفر لكى يذلك ويجربك، ليعرف ما فى قلبك، أتحفظ وصاياه أم لا؛ فأذلك، وأجاعك، وأطعمك المن الذى لم تكن تعرفه، ولا عرفه أباؤك لكى يعلّمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان" (تث ٨:٢،٣).

والسيد المسيح فى تجسده كان يقصد أن يطعم تابعيه بالبركة... فى معجزتى إشباع الجموع؛ لكى يقول لهم ليس السر فى الخمسة أرغفة ولا السمكتين ولكن فى اليد التى تقدم هذا القليل... سيشبع الناس ويفضل عنهم بالبركة.

ليست حياتنا من الأكل بل من يد الله، التى تقدم لنا الأكل بشبع وبركة وفيض كثير. فالصوم هو عودة إلى الله ينبوع كل الخيرات...

وكأننى حينما أصوم أتقدم لله بذبيحة جسدى كمثلما فعل إبراهيم مع ابنه الحبيب الوحيد اسحق الذى بسببه قبل المواعيد. أتقدم رافعاً سكين الجوع على جسدى الضعيف المنهك مقدماً إياه ذبيحة حب وطاعة وإعلان إيمان.. أن الله أهم لدىّ من جسدى ومن كل نفسى.

حينئذ يتكلم معى ملاك الرب "لا تمد يدك إلى الغلام (جسدى)، ولا تفعل به شيئاً، لأنى الآن علمت أنك خائف الله؛ فلم تمسك ابنك وحيدك عنى" (تك ٢٢:١٢).

ويرفع الصائم عينيه - كما فعل إبراهيم - وينظر "وإذا كبش وراءه ممسكاً فى الغابة بقرنيه... فذهب إبراهيم، وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه" (تك ٢٢:١٣)... وكبشنا المذبوح عنا وعن جسدنا هو ربنا يسوع المسيح المذبوح على المذبح فى سر الأفخارستيا... التى لابد أن ينتهى الصوم بها... ليحقق لنا هذا المعنى الجميل.

لم تكن حياة إبراهيم مرهونة بحياة اسحق... بل بالله... وعندما قدم إبراهيم اسحق برهن على إيمانه هذا... ونحن حياتنا ليست مرهونة بالجسد... بل بالله... والصوم يبرهن على ذلك...

وكما أن الله افتدى اسحق بكبش... كذلك يفتدينا بدمه وجسده على المذبح...

وكما أن المذبح لم يميت اسحق بل عظمَّه وصار بالحقيقة بركة وجداً للمسيح بالجسد...

كذلك لا يميتنا الصوم بل يباركنا ويعظمنا ويجعلنا أهلاً لبيت الله ورعية مع القديسين.



تطبيقاً لما علمتّه لنا الكنيسة فى أحد الرفاع... تواصل معنا الدرس فى الأحد الأول من الصوم "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض... بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء" (مت ٦:١٩-٢٠).

فالمسيح هو كنزنا الحقيقى الذى لا يفقد ولا يشيخ ولا يخسر.

والعودة إلى المسيح هى عودة إلى الغنى الحقيقى.

أ- فالعين شبعانة:

"سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً" (مت ٦:٢٢).

ب- القلب شبعان:

"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين... لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (مت ٦:٢٤). ومن يعبد الله بالحقيقة يستهن بمحبة المال ويدوس كبرياء الغنى.

ج- والنفس شبعانة:

"فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل؟ وماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟... فإن هذه كلها تطلبها الأمم (النفوس الجائعة والبعيدة عن الله... والتي لم تجعل الله محور حياتها بل ما زالت منهوكة - ومهمومة بالعالم وتفاصيله المغرقة فى العطب والهلاك). لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها... لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" (مت ٦:٣٢،٣٣).

٣- العودة إلى الله ينبوع النصرة

وفى الأحد الثانى تصور لنا الكنيسة أيقونة رائعة فيها المسيح منتصر على الشيطان بكل قوته ودائسا على كل اغراءاته...

لم يكن المسيح محتاجا أن يحارب الشيطان ويهزمه... فالشيطان بكل تأكيد مهزوم وساقط تحت قدمى المسيح... ولكنه حارب لنا وعنا... لكى يرينا الطريق.

لقد انتصر المسيح فى ثلاث تجارب:

١- الجسد:

"أن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً" (مت ٤:٣).

ومن يصوم بالحق ينتصر على تجربة الجسد... سواء كانت الشراهة أم الجنس أم محبة الراحة والرفاهية... وميوعة الحياة.

فمن يمسك بمفتاح الصوم يستطيع أن يستأمن على كنوز الجسد ومواهبه وقواه.

٢- المجد الذاتى:

"أن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل" (مت ٤:٦).

ومن يصلى بالحق ينجو من فخ المجد الباطل... لأن حياته وتدبيرها سيكونان بالله بواسطة الصلاة... وكل خدع وحيل إبليس ستنكشف له ويفضحها كما فعل السيد المسيح على الجبل وفى الصليب.

٣- القنية والمال:

"أعطيك هذه جميعها أن خررت وسجدت لى" (مت ٤:٩).

ومن يتصدق بأمواله بفرح وسعادة... لا يصير مربوطاً بشهوة الغنى، ولا يستطيع إبليس أن يخترقه ويسيطر عليه... لأنه داس بعز على كل مغريات العالم.

هكذا تأخذنا الكنيسة كأم رؤوم تعلم أولادها وتكشف لهم عن سر أبيهم السماوى... وتتدرج بنا فى المعرفة شارحة أساسات الممارسة الروحية (الصوم والصلاة والصدقة)... ثم ترينا الكنز الحقيقى المخبوء فى السماء... وأخيراً تكشف عن عيوننا

لنرى قائدنا وأبانا ظافراً بالشيطان لأنه تسلح بنفس السلاح الذى تطالبنا الكنيسة بأن نتمسك به لننتصر...

٤- العودة إلى حضن الاب

وفى الأحد الثالث من الصوم يسرد لنا السيد المسيح مثل الأبن العائد إلى أبيه.

لعل الأبن الأصغر هو الأمم الذين شردوا بعيداً عن الله، والأبن الأكبر هو اليهود الذين عاشوا فى كنف الله ولكنهم لم يكونوا بحسب قصده وفكره.

الأصغر تاه بعيداً والأكبر تاه داخل البيت.

الأصغر هو الشاب المشغول بتفاهات العالم وشهواته، حتى إنه رفض الأب السماوى وابتعد عنه.

والأكبر لا يفضله كثيراً... فهو الشاب المتدين بكبرياء وانحراف ،حتى إنه رفض فرحة الأب بعودة الخاطئ...

ذروة القصة تكمن فى هذه العبارة المقدسة: "أقوم وأذهب إلى أبى.. فقام وجاء إلى أبيه" (لو ١٥،١٩:١٨).

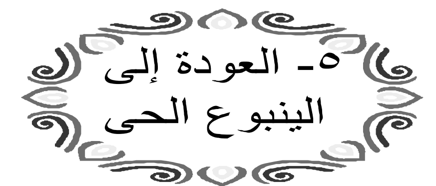
الصوم الكبير هو موسم هذه العودة المحببة...

عودة الأبن الذى أكل من شهوات الخنازير... ولم يعطيه أحد - أى لم يشبع... وعودة الابن الذى استكبر أو قل تحجر من كثرة الممارسة الروحية الباردة الآلية... دون روح ودون إحساس بالآب السماوى.

ماذا سينتظر العائد هناك :

- **الآب السماوى يتحنن... فليس الأب شرطيا ولا جلاداً بل أب...**
- **الآب السماوى يركض... فهو يتوقع أننى متهالك ومتعثر... وينتظر منى خطوة واحدة، ليركض هو ويكمل المشوار.**
- **الآب السماوى يقع على عنقه ويقبله... فالحضن الإلهى مفتوح لأعتى الخطاة.. ولأنجس الأشرار.. حتى يتطهر بقبلات فم المسيح.**
- **الحلة الأولى... يستعيد الإنسان بهاء معموديته والاستنارة..**
- **خاتم فى يده.. الروح القدس يتجدد فينا.. ويملأنا من مواهبه وثماره.**
- **العجل المسمن... ذبيحة الأفخارستيا العظيمة التى بها نتحد بالله وننال الغفران والثبات والحياة الأبدية.**
- **نأكل ونفرح ... طوبى لمن يأكل فى حضور المسيح وفى كنفه...**
- **الحياة... كان ميتا فعاش وكان ضالاً فوجد... حقاً بعيد عن الله لا توجد حياة بل وهم وموت ودمار... وفى المسيح وحده الحياة.**
- **كل مالى فهو لك... أخيراً يعطينا السيد الآب كل ماله... فنصير بالحق أغنياء به وبخيراته المقدسة...**

ليتنا نعود إلى حضن الآب.. فى هذا الموسم العظيم الذى للعودة المقدسة.



"لأن شعبى عمل شرير. تركونى أنا ينبوع المياه الحية؛ لينقروا لأنفسهم آباراً. آباراً مشققة لا تضبط ماء" (أر ٢:١٣).

الماء الذى كانت تشرب منه السامرية... كان ماء غير مروٍ.. بل كانت تعطش أيضا إلى الشهوات والنجاسات "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا" (يو ٤:١٣).

وهى مسكينة لأنها عطشانة... لم تجد ما يرويها.. فلجأت، إلى آبار العالم المشققة، لعلها ترتوى... ولكن عطشها كان يزيد فى كل مرة... "وكان لكِ خمسة أزواج والذى لكِ الآن ليس هو زوجك" (يو ٤:١٨).

عندما رجعت إلى ينبوع ماء الحياة... هناك الارتواء بالحق "لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لكِ أعطينى لأشرب لطلبتِ أنتِ منه، فأعطاكِ ماءً حيا" (يو ٤:١٠). "من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤:١٤).

مسكينة هى النفس التى لم تلتق بعد بينبوع ماء الحياة...

من يستطيع أن يطفئ لهيب ظمأ الناس...

من يستطيع أن ينجو من هلاك العطش إلى الشهوات...

الينبوع وحده قادر أن يروى ويشفى ويسعد الإنسان...

"يا سيد أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى" (يو ٤:١٥) أعطنى من مياه ينبوعك النقى؛ لكى لا احتاج مرة أخرى إلى قاذورات العالم، ولكى لا آتى هنا مرة أخرى إلى حيث أماكن العثرة والخطية والضياع.

حقا إن "النفس الشبعانة تدوس العسل وللنفس الجائعة كل مر حلو" (أم ٢٧:٧).

فأعطنى يا سيدى القدوس أن أرجع إليك؛ لأشبع بك فأدوس على عسل العالم المر... وأنكر الفجور والشهوات، وأكون لك إلى المنتهى.



٦- العودة إلى الله الشافى

كان المفلوج ملقى على الأرض به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة، ينتظر تحريك الماء حتى يبرأ...

إنه عاجز عن الحركة... لا يستطيع العودة...

يا للعجب... أن الطبيب بنفسه جاء إليه ليشفيه... وقال له "أتريد أن تبرأ" (يو ٥:٦).

ما هذه العذوبة.. يا للرقة...

هل تستأذن منه لكى تشفيه؟!!

يقول يسوعنا الحبيب... لقد انتظرته كثيراً (٣٨ سنة) لكى يعود، لكنه تقاعس حتى ضمرت أطرافه، وضاعت منه أى فرصة للعودة... كان لابد أن آتى بنفسى لأفتقده... ولكن ليس دون رأيه.... لم يكن مرضه مرضا عاديا... بل كان ثمرة خطية "ها أنت قد برأت؛ فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أشر" (يو ٥:١٤).

سيدى المحبوب ها أنا مفلوج... ولى زمان طويل متكاسل فى فراش المرض والخطية... حتى ماتت فىّ كل رغبة فى التوبة.

وذبلت فىّ كل رغبة للصلاة والعودة إليك...

فهل لى فى هذا الموسم المبارك أن تفتقدنى بصلاحك وتبرئنى...

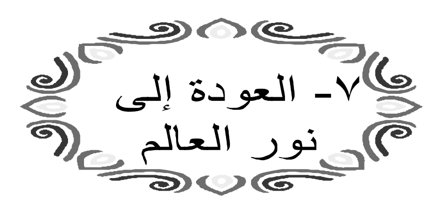
أننى عاجز عن العودة... فهل لى أن تأتى إلىّ؟

لقد فشلت معى بركة بيت حسدا بكل أروقتها الخمسة...

فهل تأتى إلىّ لتشفينى بالكلمة..؟

ليس لى ملجأ سواك.. وليس لى طبيب إلا إياك...

فدعنى أقبل نعمتك كما قبلها المفلوج فحمل سريره، ونهض ليخـــدمك ويبشر باسمك فى كل مكان...



كان المولود أعمى يعيش فى الظلام... ككل إنسان محروم من نور المسيح...

جاء إليه النور "مادمت فى العالم؛ فأنا نور العالم" (يو ٩:٥).

"مضى واغتسل وأتى بصيراً" (يو ٩:٧)... ورأى النور.

لم يكن النور الذى رآه هو الشمس بل نور المسيح..

كان شاول الطرسوسى يظن انه يرى بنور الناموس، ولم يكن يـــدرى أن هناك قشور على عينيه... كان يحتاج أن يعتمد من حنانيا؛ لتتساقط القشور ويستعيد رؤية نور المسيح...

سيعيش العالم فى ظلام الخطية والجهل والشهوة والدمار؛ حتى يعود إلى المسيح النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان...

إن الصوم الكبير هو موســم اســتعادة الاســتنارة التــى أخــذناها فــى المعمودية... إنه موسم ملء المصباح بزيت الصوم والقداس... حتى نكون فى زمرة العذارى الحكيمات أصحاب المصابيح الموقدة، والآنيــة المليئــة بالزيت، والمستعدات للقاء العريس السماوى...

فعريسنا سيفرح باستنارتنا... وسيضفى حينئذ علينــا مــن بهــاء مجــده "استنارت الأرض من بهائه" (رؤ ١٨:١).

طوبى للنفس التى تعود إليه تتأمل فى وجهه "نظروا إليه واستناروا، ووجوههم لم تخجل" (مز ٣٤:٥).

مأساة الإنسان انه قد تلهى عن الله...

ليتنا فى الصوم نعود إليه فى هدوء، ونجلس تحت قدميه بسكون.

"بالرجوع والسكون تخلصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم" (إش ٣٠:١٥).